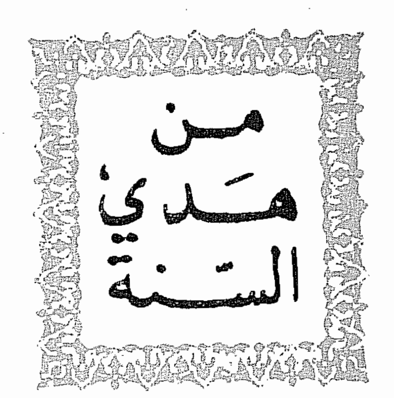




للدكتور علي عبد المنعم عبد الحميد

١ — قال ابن هشام : بلغني عن الزهري أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « سلمان منا أهل البيت » .

٢ — ورد في صحيح البخاري ، كما جاء في صحيح مسلم عند الكلام على بدء الوحي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ما نصه : « ... فانطلقت به خديجة حتى أتت به ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى ابن عم خديجة ، وكان أمرا تنصر في الجاهلية وكان يكتب الكتاب بالعبراني ، فيكتب من الانجيل بالعبرانية ما شاء الله أن يكتب .. الخ » .

١ — برأ الله جلت قدرته الخلق جانحين الى التوحيد ، نافرين من الشرك ، متعقبين البراهين الموصلة الى معرفة ربهم وذلك هو الدين القيم **« فأقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون »** . (الآية (٣٠) من سورة الروم)،وروى الشيخان فيصحيحيهما قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « كل مولود يولد على الفطرة حتى يكون أبواه هما اللذان يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه كما تنتج البهيمة جمعاء ، هل تحسون فيها من جدعاء » ، فالعقل الانساني في أصل تكوينه صحيفة بيضاء قابلة لاستيعاب ما ينقش فيها ، كالأرض الطيبة يخرج نباتها باذن ربه ، متنوعا مختلفا أكله كما يغرسه زارعوه ، والانسان ترد عليه المعارف فيتقبلها والخير أغلب على طبعه من الشر ، فلا تتغير فطرته إلا بمعلم كالأبوين يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه كما نص الحديث الشريف ، ولو ترك الوليد وشأنه لعرف ربه بفطرته بل واستدل على وحدانيته بشواهد ما يرى ويبصر في الكون المحيط به :

وفي كل شيء له آية
تدل على أنه الواحد

ولكن أكثر الناس لا يعلمون لبعدهم عن التدبر أو لوجودهم في بيئة خاصة ومنشأ انحرفا بهم عن الجادة

اللاحبة ، واعميا بصائرهم عن الضياء يغمر الوجــود ، فلبثوا فى غيــابة الجهالة والتقليد المنحرف .

ولهذا يجــذب انتباه الباحث فى تاريخ العقائد وخاصـــة (الاسلام) بروز شـــخوص سلمت فطرهم من الشرك ، فنفرت طباعهم من الخنوع لطواغيت لا تسمع ولا تبصر ولا تغنى من الحق شيئا ، ومن المعجب المطرب ان نتأمل حديث ابراهيم الى قومه ، ذلك القول المتسائل ، فى رفق وقوة مما لم يجدوا له جوابا إلا القـــوة الجاهلة الطاغية الغافلة عن قـــدرة المبدع العاصم رسله من الناس قال تعالى : « واتل عليهم نبأ ابراهيم . إذ قال لأبيه وقومه ما تعبدون . قالوا نعبد أصناما فنظل لها عاكفين . قال هـــل يســـمعونكم إذ تدعـــون . أو ينفعونكم أو يضرون . قالوا بل وجدنا آباءنا كذلك يفعلون » ، ومثل هـــذه العقليات التى تقيم على التقليـــد غير مبصرة مـــا يداعب أبصـــارها فى أصباحها وامســـائها من آثار قدرة بديع السموات والأرض ، لا جواب لها إلا المجابهة بالرفض البات الباتر لمعتقداتها البعيدة عن الانخراط فى سلك المعقولات الواضحة الاستقامة فى معطيات العقول الناضجة الباحثة الفاقهة ، وعلى هذا أجاب ابراهيم : « قال أفرأيتم ما كنتم تعبدون . أنتم وآباؤكم الأقدمون . فانهم عدو لى إلا رب العالمين » ويدل ذلك على أن من آبائهم من هدته فطرته النقية الى معرفة قيوم السموات والأرض ، ثم علل عليه السلام عبادته رب العالمين بما لا تستطيعه آلهتهم ولا يد لهم هم فى الوصول اليه قال : « الذى خلقنى فهـــو يهدين . والـــذى هو يطعمنى ويسقين ، وإذا مرضت فهو يشفين ، والذى يميتنى ثم يحيين ، والذى أطمع أن يغفر لى خطيئتى يوم الدين » .

وقد وجـــد من سلمت فطرته من الشـــوائب ، فحـــاولت التفلت من موروثات مجتمعها وتقاليده ، وندت بعيدا عنه باحثة عن الحق فاهتدت ، وممن التقينـــا بهم فى هـــذا الدرب ناشدين المعرفة والجين فى نور رب العالمين جماعة نبتوا قبيل بعثة سيدنا رسول الله محمد صلى الله عليـــه وســـلم ، فلما آذنت بالظهـــور على مسرح الحياة كانوا أول المتابعين بقوة يقين وقلب سليم ، ونعرض هنا طرفا من اخبار بعضـــهم أمثال : ســـلمان الفارسى ، ثم ورقة بن نوفل وربمـــا مزيدا من أولئك الرجال الذين قدروا عقولهم حـــق قدرها وســـاروا على ضـــوئها وارتفعوا بانســـانيتهم عن دركات العقائد المسفة فى الانحطاط، عسى أن يكون فى ذكراهم العطـــرة داعية توجيه لمن كان له قلب أو القى السمع وهو شهيد .

٢ ـــ أما خبر سلمان الفارسى فقد أوردته المراجع الأصيلة فى السيرة العطرة وروته عن عبد الله بن عباس رضى‌الله عنهما قال : « حدثنى سلمان الفارسى وأنا أسمع من فيه ، قال : نشـــأت فى أصـــبهان وكان والدى شيخا للقرية عارفا بالفلاحة مرجعـــا للناس فيما يصلح الأرض وما تجود به زراعتها ، وكان شديد الشـــغف‌بى، بلغ من شدة حرصه على أنه كان يحبسنى فى بيته كما تحبس الجارية ، ولقننى المجوسية وبالغت فى الاجتهاد والعبادة للنار حتى صرت خـــادمها الذى يمنعها أن تخبو لحظة لتعظيمى إياها وكانت لأبى ضيعة عظيمة بعثنى يومـــا اليها وأمرنى ببعض ما يريد فيها ، وأمرنى أن لا ألبث هنـــاك طويلا ، فلما كنت فى بعض الطريق الى تلك الضيعة مررت بكنيسة من كنـــائس النصـــارى فتســـمعت الى

أصواتهم وهم يصلون ، فولجت عليهم لأنظر ماذا يصنعون ، فأعجبتنى صلاتهم وملكت علىّ لبى ، وأدركت أن أمرهم هذا خير من الدين الذى نحن عليه فوالله ما برحتهم حتى غربت الشمس ، وتركت ضيعة أبى فلم اصل اليها ، وسألت القوم اين اصل دينهم ؟ قالوا : بالشام ، فغادرتهم قافلا الى ابى ، وقد أعياه البحث عنى سحابة يومه ، فلما واجهته ابتدرنى قائلا : اين كنت ؟ قلت : يا ابت مررت بأناس يصلون فى كنيسة لهم فأعجبنى ما شهدت من دينهم .. فقال : ليس فى ذلك الدين خير ، دينك ودين آبائك خير منه ، قلت : كلا والله ، انه لخير من ديننا وقد شغفنى حبا وسيطر على كل جوانحى ولم يعد لى مفر من البحث عن مصدره لأرى الأمر على جليته واسبر غوره ، وارى رايى فيه ، فثار غضب ابى حتى جعل فى رجلى قيدا ليحول بينى وبين مبارحة داره ، ولكنى لم استطع مقاومة ما يعتمل بين جوانحى من التطلع الى معرفة كنه الدين الذى شاهدت بعض طقوس معتنقيه ، فعزمت على الفكاك من اسر والدى لأستطيع الفرار الى الشام مع اول قافلة متجهة الى هناك وصحبت ركبا من تجار النصارى حتى قدمت الشام ، فلما وصلتها بحثت عن افضل أهل هذا الدين علما به فدللت على أسقف ، فلما جئته قلت له : انى رغبت فى هذا الدين فأحببت ان اكون معك وأخدمك فى كنيستك فأتعلم منك واصلى معك ، ودخلت معه ، ولكنى وجدته رجل سوء ، ففارقته الى آخر ما رايت أفضل ولا أزهد فى الدنيا منه ، فلما حضرته الوفاة طلبت اليه أن يدلنى على من اواصل معه رحلتى الى الله فأرشدنى الى رجل بالموصل ، فلما مات وغيب لحقت بصاحب الموصل فأقمت عنده فوجدته خير رجل على أمر صاحبه ، فلم يلبث أن مات ، وكان قد أمرنى باللحاق بآخر فى نصيبين ، فأقمت عنده فوجدته على أمر صاحبه ولما حضرته الوفاة قال : لم يبق على أمرنا أحد آمرك ان تأتيه الا رجلا بعمورية من ارض الروم ، فلما وصلت الى عمورية وجدت صاحبى على هدى اصحابه وأمرهم ،وما زال سلمان رضى الله عنه ينتقل من مكان الى آخر حتى وصل الى من قرأ له بشارات الانجيل بظهور نبى قد أظله زمانه مصداقا لقوله تعالى فى سورة الصف بالآية السادسة : « وإذ قال عيسى ابن مريم يا بنى اسرائيل انى رسول الله اليكم مصدقا لما بين يدى من التوراة ومبشرا برسول يأتى من بعدى اسمه أحمد » واخبره بأن لهذا النبى فى الانجيل ثلاث علامات: انه يخرج بأرض العرب ، وانه لا يأكل الصدقات ، وأن بين كتفيه خاتم النبوة . يقول سلمان فسرت الى ارض العرب حتى التقيت بنفر من كلب تجار ظلمونى فباعونى من رجل يهودى عبدا اقمت عنده بيثرب حتى بعث النبى صلى الله عليه وسلم وهاجر الى المدينة ، ويتابع سلمان حديثه الى عبد الله بن عباس رضى الله عنهم قائلا : فوالله انى لفى راس عذق لسيدى اعمل له بعض العمل وسيدى جالس تحت النخلة اذ اقبل ابن عم له فقال : يا فلان قاتل الله بنى قيلة ، والله انهم الآن لمجتمعون بقباء على رجل قدم عليهم من مكة اليوم يزعم انه نبى ، قال سلمان فلما سمعتها اخذتنى « العرواء » حتى ظننت انى ساسقط على سيدى ، فنزلت عن النخلة ، ولما امسى المساء تسللت

ذاهبا باحثا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فجئته وهو جالس فى اصحابه فسلمت عليه وتحققت من انه هو المبشر به ، وقد كان أهل الكتاب يعرفونه قبل مجيئه ويبشرون بظهوره رحمة للعالمين : « الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم » . فأمرنى صلى الله عليه وسلم أن اكاتب فكاتبت صاحبى ووفيته حقه واصبحت حرا طليقا من قيود العبودية ولزمت رسول الله صلى الله عليه وسلم .

هذا مثال للرجال الذين لم يطمس الله على بصائرهم ، وسلمت لهم فطرهم النقية ، فأدركوا أن للكون ربا لا يمكن أن تمثله النار أو الأصنام التى لا تحس ولا تعى ، ومن عجب أن يصوغها الانسان بيده ثم يضعف أمامها فيعبدها ، حقا أن هذا لهو الضلال المبين ، راح أولئك الأفذاذ فى ادراكهم ، وصفاء قرائحهم يبحثون مستسهلين كل صعب ، متخطين الحواجز مهما كانت صلابتها ، فما وقفت أمامهم عقبة ولا لانت قناتهم لملمة ، ولا احنوا ظهورهم لمشكلة بل تعالوا بعزائمهم على كل المعوقات فاجتازوها فى يسر أو فى شدة حتى خضعت لاصرارهم كل القوى وفازوا بما يبغون ، اولئك الذين كتب الله فى قلوبهم الايمان وايدهم بروح من عنده فرحم الله سلمان ورضى عنه .

ولنترك سلمان الفارسى الى رجل عربى من مكة وصحب له ما راوا فى عبادة الأصنام الا افنا فى الراى وبلادة فى الحس ، واهدارا لكرامة الانسان العاقل الذى كرمه ربه وفضله على كثير ممن خلق فخرجوا يتلمسون الهدى فى مظانه ويقطعون الفيافى والقفاز باحثين عن الحقيقة الكامنة وراء مظاهر الكون وعجائبه ، والذين كان منهم ورقة بن نوفل وصحب له ، عافوا الطواغيت وعابوها ، وولوها أدبارهم وهجروها فتداركهم الله بفضله وهداهم صراطا مستقيما .

٣ — وما حديث ورقة بخاف على دارسى تاريخ الاسلام فقد اقترن اسمه بأول بادرة وحى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم والتصق حديث التاريخ عنه باسم أم المؤمنين خديجة رضى الله عنها ابنة عم وزوج سيدنا رسول الله ، واسم الروح الأمين جبريل واول ما نزل من الذكر العظيم هدى ورحمة للعالمين .. وأما خبره قبل البعثة الشريفة فقد حدث عنه ابن اسحاق وابن هشام والطبرى وغيرهم قالوا : .. اجتمعت قريش يوما فى عيد لهم عند صنم كانوا يعظمونه وينحرون له ويطوفون حوله فخلص منهم اربعة نفر نجيا ، ثم قال بعضهم لبعض : تصادقوا وليكتم بعضكم على بعض ، قالوا : أجل وكان منهم ورقة بن نوفل ابن اسد بن عبد العزى فقال : تعلمون والله ما قومكم على شىء ! لقد اخطأوا دين ابيهم ابراهيم ! ما حجر نطيف به لا يسمع ولا يبصر ولا ينفع ولا يضر ، يا قوم التمسوا لأنفسكم دينا ، فانكم والله ما أنتم على شىء ، فتفرقوا فى البلدان يضربون فى الأرض يلتمسون الحنيفية دين ابراهيم.ويروى ابن حجر العسقلانى أن ورقة : « سافر الى الشام فأعجبه دين النصرانية فتنصر وكان لقى من الرهبان على دين عيسى عليه السلام ولم يبدل ولهذا أخبر بشأن النبى صلى الله عليه وسلم والبشارة به الى غير ذلك مما افسده اهل التبديل » وقد اجاد ورقة تعلم اللغة العبرية فكان يكتب بها ما يشاء وينقل منها الى اللغة العربية ما يشاء ، وقيل انه كان يكتب

من الانجيل ولا يحفظ لأن حفظ التوراة والانجيل لم يكن متيسرا كحفظ القرآن الذى هو من خصائص الأمة الاسلامية والتى جاء فى صفتها : « اناجيلها صدورها » أى أنها تعى القرآن حفظا وهذا مما كان على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا يزال ، ولما نزل الوحى على رسول الله عليه الصلاة والسلام وأخبرت خديجة رضى الله عنها ورقة بما كان من أمره عليه السلام قال ورقة كما يروى ابن اسحاق « قدوس قدوس ، والذى نفسى بيده لئن كنت صدقتينى يا خديجة لقد جاءه الناموس الأكبر الذى كان ينزل على موسى ، وانه لنبى هذه الأمة فقولى له فليثبت » .

وبينما يطوف رسول الله صلى الله عليه وسلم بالكعبة كعادته لقيه ورقة ابن نوفل فقال يا ابن اخى : اخبرنى بما رأيت وسمعت ، فأخبره ، فقال ورقة : والذى نفسى بيده إنك لنبى هذه الأمة ، ولتكذبنه ولتؤذينه ، ولتخرجنه ، ولتقاتلنه ، ولئن أدركنى يومك لأنصرن الله نصرا يعلمه ، ثم أدنى رأسه منه فقبل يافوخه (واليافوخ وسط الرأس) ثم انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم الى منزله ، ويروى السهيلى أنه لما توفى ورقة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لقد رأيت القس فى الجنة وعليه ثياب الحرير لأنه آمن بى وصدقنى » . وهذا الحديث اسنده البزاز .

وقصة ورقة تعطى صورة كريمة لشخصية عربية عرفت السبيل الى الحنيفية ولم تكتف بظاهر من القول بل تعدى ورقة ما سمع وأراد أن يتيقن مما يجول حوله فتعلم العبرية وأجادها ونقل منها الى لغته الأصلية لغة الضاد ، وورقة مثال واضح القوة ، قوة الدلالة على استعداد العربى لتقبل الثقافات المختلفة منذ أقدم عصوره وهو يوضح لنا سر نبوغ المسلمين فى كل الميادين بعد الاسلام ميادين السلم والحرب على السواء ، وفى التاريخ شاهد على ما قيل . .

٤ ــ والخلاصة : اننا نلمس فى كل عصر فى مراحل الزمان وحقبه المتباينة وجود رجال بعدوا عن التقليد وربأوا بأنفسهم عن حمأة السفهاء ، واستخدموا فطرهم النقية فى الوصول الى الايمان البعيد عن الشوائب على قلة ما عرفوا من أسرار الوجود ، وضآلة ما أدركوا من علوم ، وهذا يقطع عذر المتخبطين فى دياجير الظلام النفسى فى عصر كشف العلم قناعه ، وأبدى العقل قوته على فك طلاسم ما يحيط به مما يبشر بما هو أبعد مما نرى ونشاهد وما نسمع وما نلمس فأولى لمن يقدر نفسه قدرها ، ويعطى عقله التقييم اللائق به ، ويعتد بوجوده كانسان لوجوده خطره فى هذه الحياة ، وأن يتجافى عن التقليد وأن لا يخضع لما يحمله اليه أعداء أمته ، وانما يبحث مع الباحثين ملقيا دلوه فى الدلاء حتى يصل بنفسه وفطرته النقية التى فطره الله عليها الى الحقيقة الثابتة ، الى الله الواحد الأحد ، ويسير على ضوء ما رسمه سبحانه ، وهنا تحرر العقول من مستورد الأفكار ، وبالتالى تنجو الأوطان من سيطرة أصحابها ، وتخلص ثمرات البلاد لأبنائها وصدق الله العظيم القائل : « سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم انه الحق أو لم يكف بربك انه على كل شىء شهيد » .